﴿ سأل بعض الذميين العلماء عن مسئلة القدر قائلا ﴾

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ماقضى ربى بكفرى بزعمكم ولم يرضه منى فما وجه حيلتي
دعانى وسد الباب عنى فهل الى دخولي سبيل بينوا لى قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتى
فان كنت بالمقضي ياقوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم بليتي
فهل لى رضا ماليس يرضاه سيدي فقد حرت دلوني علي كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة فهل أنا عاص باتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلا ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب الخلق باري البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلا قديماً به ابليس أصل البلية
ومن يك خصماً للمهيمن يرجعن على أم رأس هاويا فى الحفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طراً فرقة القدرية
سواء نفوه اوسعوا ليخاصموا به الله أوماروا به للشريعة

وأصلُ ضلالِ الخلقِ من كلِّ فرقةٍ هو الخَوضُ في فعلِ الالهِ بعلّةِ
فان جميعَ الكونِ أوجبَ فعلَه مشيئةُ ربِّ الخلقِ باريْ الخليقةِ
وذاتُ الهِ الخلقِ واجبةٌ بما لهامن صفاتٍ واجباتٍ قديمةِ
مشيئتُه مع علمِه ثم قدرةٌ لوازمُ ذاتِ اللهِ قاضي القضيةِ
فقولك لِمَ قدشاءَ مِثلُ سؤالِ مَنْ يقولُ فلِمْ قد كان في الأَزَليّةِ
وذاكَ سؤالٌ يبطِلُ العقلُ وجهَه وتحريمُه قد كان في كلِّ شرعةِ
وفي الكونِ تخصيصٌ كثيرٌ يدلُّ مَنْ له نوعُ عقلٍ أنه بارادةِ
وإصدارُه عن واحدٍ بعد واحدٍ أو القولُ بالتجويزِ رميةُ حيرةِ
ولا في تعلّقِ لكلِّ مسببٍ بما قبلَه من علةٍ كلُّ خيبةِ
بل الشأنُ في الاسبابِ اسبابِ ما ترى ومصدرُها عن حكمِ محضِ المشيئةِ
وقولُك لِمْ شاءَ الالهُ هو الذي أزلَّ عقولَ الخلقِ في قعرِ حفرةِ
فان المجوسَ القائلين بخالقٍ لنفعٍ وربٍّ مبدعٍ للمضرّةِ
سؤالُهمُ عن علةِ الشرِّ أوقعت رؤسَهمُ في شبهةِ الثنويّةِ

وان ملاحيد الفلاسفة الأولي يقولون بالفعل القديم لعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
وان مبادى الشر فى كل أمة دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
بخوضهم في ذاكم صار شركهم وجاء دروس البينات بفترة
ويكفيك نقضاً ان ماقد سألته من العذر مردود لذي كل فطرة
فانت تعيب الطاعنين جميعهم عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة وتبغض من عاداك من كل فرقة
وحالهم فى كل قوله وفعل كحالك يا هذا بأرجح حجة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر
وكل غوي خارج عن محجة
فيلزمك الاعراض عن كل ظالم على الناس من نفس ومال وحرمة
فلا تغضبن يوماً على سافك دماً ولا سارق مالاً لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا ولا ناكح فرجاً على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم
ولا مفسد فى الارض من كل وجهة
ولا شاهد بالزور افكا وفرية ولا قاذف للمحصنات بزنية

ولا مهلكٍ للحرث والنسل عامداً ولا حاكم للعالمين برشوة
وكفّ لسانَ اللوم عن كل مفسد ولا تأخذن ذا خزية بعقوبة
وسهّل سبيل الكاذبين تعمّداً على ربهم من كل جاء بفرية
وان قصدوا اضلال من يستجيبهم
بروم فسادِ النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعونَ اذ طغى
فأُهلكَ في اليمّ انتقاما بغضبة
وكلّ كفور مشركٍ بالهه وآخرَ طاغٍ كافر بالنبوة
كعادٍ ونمرودٍ وقومٍ لصالح وقومٍ لنوحٍ ثم اصحابِ ليكة
وخاصم لموسى ثم سائرِ من أتى من الانبياء محيياً للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس اذ بغوا
ونالوا من العاصى بليغَ العقوبة
وإلا فكل الخلق فى لفظة ولحـ ـظ عينٍ وتحريكٍ لشعرة
وبطشة كف أو تخطى قديمة وكل حراكٍ بل وكل سكينة
هم تحت أقدار الاله وحكمه كما أنتَ فيما قد أتيتَ بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل فعالَ ردًى طرًّا لهذى المقيسة

فهل يمكنن رفعُ الملام جميعه عن الناس طرًّا عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
وترك الورى الانصافَ بين الرعية
فلا يُضمنَنْ نفسٌ ومال بمثله ولا يُعقَبنْ عادٍ بمثل الجريمة
وهل في عقول الناس اوفي طباعهم
قبول لقول النّذل ماوجه حيلتي
ويكفيك نقضاً مابجسم ابن آدمٍ صبي ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضيّ من غير حيلة وفى ما يشاء الله أكملُ حكمة
اذا كان فى هذا له حكمةٌ فما يُظنّ بخلق الفعل ثم العقوبة
وكيفَ ومن هذا عذاب مولّدٌ من الفعل فعل العبد عند الطّبيعة
كأكل سمٍّ أوجبَ الموتَ اكلُه وكلٌّ بتقديرٍ لربّ المنية
فكفرك يا هذا كسمٍّ أكلته وتعذيبِ نارٍ مثلِ جرعة غصّة
ألستَ ترى فى هذه الدارِ من جنى يعاقب إما بالقضاا وبشرعة
ولا عذر للجانى بتقدير خالق كذلك فى الاخرى بلامثنوية
وما كان من جنس المتاب لرفعه عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة تجاب من الجانى ورب شفاعة

وتقديره للفعل يجلب نقمة كتقديره الآثار طرا بعلة
وقول حليف الشر انى مقدّر على كقول الذيب هذى طبيعتى
فهل ينفعنْ عذر الملوم لانه كذا طبعه أم هل يقال لعتوة
أم الذمّ والتعذيب أوكد للذى طبيعتُه فعلُ الشرور الشنيعة
فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى يُنجّيك من نار الاله العظيمة
فدونك ربّ الخلق فاقصده ضارعاً مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
وما بان من حقٍّ فلا تتركنّه وعج عن سبيل الامة الغضبية
وذلل قياد النفس للحق واسمعنْ ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة
ومن ضل عن حق فلا تقفونّه وزن ما عليه الناس بالمَعْدَلِية
هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى بتبشير من قد جاء بالحنفية
بملة ابراهيم ذاك امامنا ودين رسول الله خير البرية
فلا يقبل الرحمن ديناً سوى الذى به جاءت الرسل الكرام السجية
فقد جاء هذا الخاتم الحاشر الذى حوى كلّ خير فى عموم الرسالة
وأخبر عن رب العباد بأنّ من غدا عنه فى الاخرى بأقبح خيبة
فهذه دلالات العباد لحائر وأما هداه فهو فعل الربوبية
وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من عداعنه بل يجرى بلا وجه حجة

وحجة محتج بتقدير ربه تزيد عذاباً كاحتجاج مريضة

وأما رضانا بالقضاء فانما أمِرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وذلٍّ ثم فقر وغربة وما كان من مؤذٍ بدون جريمة

فأما الافاعيل التى كُرِهَتْ لنا فلا نصٌّ يأتى في رضاها بطاعة

وقد قال قومٌ من أولى العلم لارضى بفعل المعاصى والذنوبِ الكبيرة

فان إله الخلق لم يرضها لنا فلا نرتضى مسخوطة بمشيئة

وقال فريقٌ نرتضى بقضائه اليه وما فينا فيَلْقَى بسخطة

كما أنها للرَّبِّ خَلْقٌ وانها لمخلوقه كسبٌ كفعل الغريزة

فنرضى من الوجه الذى هو خَلْقُهُ

ونَسْخَطُ من وجهِ اكتسابِ الخطيئة

ومعصيةُ العبد المكلف تركهُ لما أمَرَ المولى وان بمشيئة

فان الله الخلق حقٌّ مقالهُ بانّ العبادَ فى نعيمٍ وجنة

كما انهم فى هذه الدار هكذا بل البهم في الالام ايضا ونعمة

وحكمته العليا اقتضت ماقضت من الـ فروق بعلم ثم ايد ورحمة

يسوق اولى التعذيب بالسبب الذى

يقدره نحو العتاب بعزة

ويهدى اولى التنعيم نحو نعيمهم　باعمال صدق فى خشوع وخشية
وامر اله الخلق تبيين مابه　يسوق اولى التنعيم نحو السعادة
فمن كان من اهل السعادة اثرت　او امره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من اهل الشقاوة لم ينل　بامر ولا نهي بتقدير شقوة
ولا مخرجٌ للعبد عما بهِ قضى　ولكنَّهُ مختارُ حسنٍ وسوأة
فليس بمجبورٍ عديمِ ارادةٍ　ولكنه شاء بخَلْقِ الإرادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة　بها صار مختارَ الهُدَى والضلالة
وقولك هل اختارُ تركا لحكمهِ　كقولك هل اختارُ تَرْكَ المشيئة
وأختارُ أنْ لا اختارَ فعلَ ضلالةٍ　ولو نلتُ هذا التَّرْكَ فزتُ بتوبة
وذا ممكنٌ لكنهُ متوقفٌ　على مايشاء الله من ذى المَشيئة
فدونَك فافهم مابهِ قد أجبتُ من　معانٍ اذا انحلَّتْ بفهم غريزة
اشارت الى أصلٍ يشيرُ الى الهُدَى
ولِلّه ربِّ الخلْقِ أ دملُ مدحتى

تم

